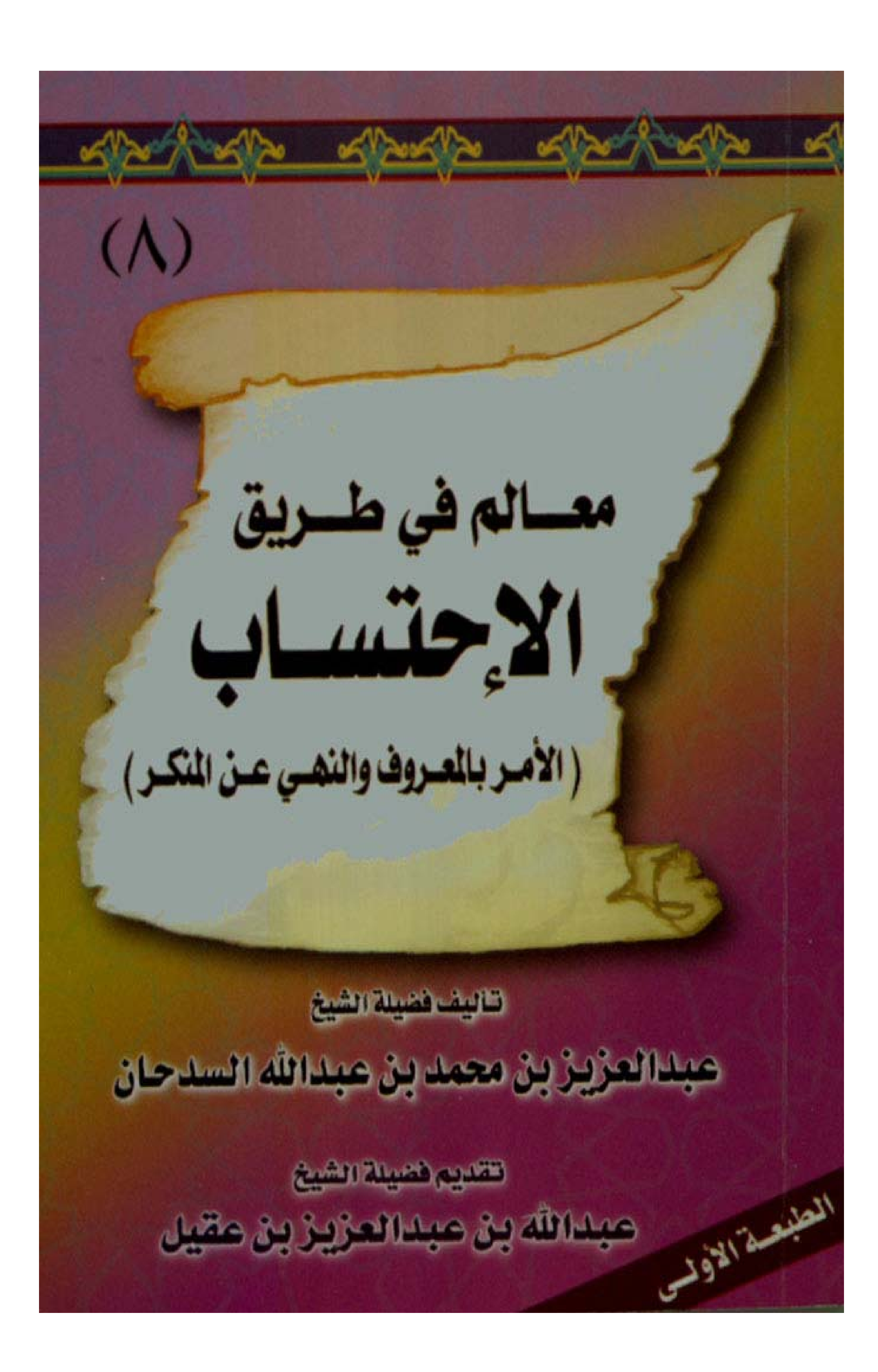

(٨)
معالم في طريق
الإحتساب
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
تأليف فضيلة الشيخ
عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان
تقديم فضيلة الشيخ
عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل
الطبعة الأولى

معالم في طريق الاحتساب

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

تأليف فضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

تقديم فضيلة الشيخ

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل

التاريخ ٢٣/٧/١٤٢٣هـ

الحمد لله وحده

وبعد فلا يخفى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم دعائم الدين وبه قوام شئون المسلمين فهو واجب باليد واللسان والجنان حسب الاستطاعة والإمكان وإن له شروطاً وآداباً ومكملات ذكرها أهل العلم وأوضحوها في مصنفاتهم ونظراً لأن الناس في هذه الأزمان تشتتت آراؤهم وتباعدت أنظارهم وتغيرت عاداتهم فكل فئة تتصرف في شئون حياتها حسبما يتهيئ لها سواء وافق الشرع أو خالفه وكلما أحدث الناس أموراً هيأ الله من طلبة العلم من يوضح لهم طرق الخروج منها وإنكارها على اختلاف أعراف الناس وعوائدهم وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأمر بالمعروف يحتاج إلى ثلاث دعائم أحدها قبله والثاني معه والثالث بعده وهي العلم والرفق والحلم، فالعلم أولاً قبل العمل والرفق حال العمل والحلم بعد العمل، وقد اطلعت على هذه الرسالة النافعة "معالم في طريق الاحتساب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" تأليف الأخ الشيخ [illegible] عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان فوجدته أبدى فيها وأعاد من بيان بعض المنكرات وطرق تغييرها وذكر معالم وفوائد تنير الطريق وتعين على القيام بهذا الأمر المهم الذي به قوام الدين وقد قرأت مواضع منها وسررت بما تضمنته من تفصيلات نافعة ونقول عن السلف ناجعة وقد أوصيته بنشرها لعل الله أن ينفع بها ففضل الله واسع وفي الحديث إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة صانعه والرامي به ومنبله المدد به. رواه أبوداود والترمذي وغيرهما.

وإني أوصي إخواني وأبنائي بقراءة هذه الرسالة لما فيها من المعاني المبتكرة والوصايا النافعة. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم، قال ذلك الفقير إلى الله عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

عبدالله العقيل

الرياض - ص.ب ٩٤٦٩١ - الرمز البريدي ١١٦١٤ - المملكة العربية السعودية - هاتف ٤٨٢٣١٠٣

تقديم

الحمد لله وحده، وبعد:

فلا يخفىٰ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم دعائم الدين، وبه قوائم شؤون المسلمين، فهو واجب باليد واللسان والجنان، حسب الاستطاعة والإمكان، وإن له شروطًا وآدابًا ومكملات، ذكرها أهل العلم وأوضحوها في مصنفاتهم.

ونظرًا لأن الناس في هذه الأزمان تشتت آراؤهم، وتباعدت أنظارهم، وتغيرت عاداتهم؛ فكل فئة تتصرف في شؤون حياتها حسبما يتهيأ لها، سواء وافق الشرع أو خالفه!

وكلما أحدث الناس أمورًا هَيَّأَ اللهُ مِن طلبة العلم مَن يُوَضِّح لهم طرق الخروج منها وإنكارها علىٰ اختلاف أعراف الناس وعوائدهم، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الأمر بالمعروف يحتاج إلىٰ ثلاث دعائم: إحدها: قَبله، والثانية: معه، والثالثة: بعده، وهي العلم والرفق والحلم، فالعلم أولًا قبل العمل، والرفق حال العمل، والحلم بعد العمل".

وقد اطلعت علىٰ هذه الرسالة النافعة «معالم في طريق الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» تأليف الأخ الشيخ الدكتور(١)/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان فوجدتُه أبدىٰ فيها وأعاد من بيان بعض المنكرات، وطرق تغييرها، وذكر معالم وفوائد تنير الطريق، وتعين علىٰ القيام بهذا الأمر المهم الذي به قوام الدين.

وقد قرأتُ مواضع منها؛ وسُررتُ بما تضمنته من تفصيلات نافعة، ونُقول عن السلف ناجعة.

وقد أوصيتُه بنشرها؛ لعل الله أن ينفع بها؛ ففضل الله واسع؛ وفي الحديث: «إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه، والرامي به، ومنبله الممد به» رواه أبو داوود والترمذي وغيرهما.

(١) لازلتُ في مرحلة بحثها وكتابتها –يَسَّر الله أمرها وجعلها عونًا على طاعته–.

وإني أوصي إخواني وأبنائي بقراءة هذه الرسالة لما فيها من المعاني المبتكرة والوصايا النافعة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

قال ذلك الفقير إلى الله

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا

٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدين بمكان عظيم، وقد خصّها الله تعالى في كتابه والنبي -صلى الله عليه وسلم- في سنته بمزيد عناية؛ لعظيم شأنها ورفيع منزلتها.

ولما كانت غالب المجتمعات تحدث فيها المنكرات المتنوعة؛ كانت نفوس كثير من الغيورين تهب للاحتساب أمرًا ونهيًا: أمرًا بالمعروف ودلالة عليه وترغيبًا فيه، ونهيًا عن المنكر وبيانًا له وتحذيرًا وترهيبًا منه.

قام أولئك الغيورون بذلك الاحتساب، يدفعهم إليه طمعهم في الأجر من الله تعالى وحرصهم على مجتمعاتهم، وسعيهم لتغيير المنكر وهداية أهله.

وهؤلاء المحتسبون هم غرة المجتمع وبهجته.. لكن مع كثرة المحتسبين وكثرة وسائل الاحتساب وقع بعضهم -عن حسن نية إن شاء الله تعالى- في أمور مخالفة للصواب.

وكان من أعظم الأسباب في ذلك: البعد عن المنهج الشرعي.

وفي هذه الرسالة معالم يستضيء بها المحتسب في أمره ونهيه، وفيها أيضًا بيان منزلة الاحتساب، وخطورة تركه أو تنقُّص أهله وغير ذلك.

وتلك المعالم مأخوذة من النصوص الشرعية وفقهها من خلال كلام أهل العلم.

وسميتها: «معالم في طريق الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

اللهَ تعالى أسأل أن يَحفظ مجتمعات المسلمين مِن شَرِّ الأشرار، ومن كيد الفجَّار، وأن يهدي ضال المسلمين إلى سبيل الهداية والرشاد.

كما أسأل الله تعالى أن يوفق ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح الدين والدنيا، وأن يوفق المحتسبين في احتسابهم، وأن يزيدهم علمًا وعملًا وقبولًا لدى مجتمعاتهم.

ختامًا.. أشكر -بعد شكر الله تعالى- شيخي صاحب الفضيلة الوالد/ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، الذي كان له عليّ فضل كبير -بعد الله تعالى- في صغري تعليمًا وتوجيهًا وتشجيعًا.

ولا زال فضله -بحمد الله تعالى- متواصلًا عليّ، ومِن ذلك مراجعته لهذه الرسالة وكتابته مقدمة لها.

جزاه الله خير ما جزى شيخًا عن تلاميذه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

١٤٢٣/٦/٢٤هـ

المعلم الأول

منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن قيام شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العلامات الدالة والمؤكدة على خيرية الأمة؛ كما قال تعالى ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**...﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-: (وفي هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر؛ زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببًا لهلاكهم) انتهى كلام القرطبي.

في المقابل أَذَلَّ الله أمة من الأمم تركت تلك الشعيرة وأهملت شأنها؛ فكان عاقبة أمرها خسرًا.

قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

معاشر المسلمين:

إن اتّصاف أفراد المجتمع بتلك الشعيرة كل بقدر طاقته، فيه ضمان لتحقيق المصالح وزوال المفاسد، وفيه استمرار لتَقدُّم الأمَّة ورُقيِّها.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله).

وقال الإمام النووي -رحمه الله تعالى-: (واعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: باب عظيم؛ به قوام الأمر وملاكه، وإذا كَثُر الخبث؛ عمَّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣]) اهـ.

المعلم الثاني

من ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن في إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ثمارًا كثيرة ومنافع عظيمة؛ فمن ذلك:

١- أن هذه الشعيرة من أعمال الأنبياء؛ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٢- أنه علامة على صلاح القائمين بها؛ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

٣- أنه علامة واضحة على فلاح الأمة؛ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٤- أن القيام بهذه الشعيرة من صفات المؤمنين المتكاتفين الموعودين بالرحمة؛ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

٥- ومن ذلك: التمكين في الأرض؛ ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

٦- ومن ذلك: النصح للمسلمين؛ كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «الدين النصيحة» أخرجه مسلم. وكما قال جرير -رضي الله عنه-: «بايعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم".

٧- فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجامع للنصيحة.

٨- ومن ذلك أيضًا: رد المظالم ودفع الظالم عن ظلمه؛ قال -صلى الله عليه وسلم-: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قيل يا رسول الله! نصرته مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تكفه عن الظلم فذاك نصرك إيّاه»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (الفتن برقم ٢٢٥٥، ١/ ٥١٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

٩- أن تلك الشعيرة تزيد أهلها مسارعة للتوبة عند الذنب، وتزيدهم تعبدًا لله تعالى وحمدًا وشكرًا.

١٠- أن أهل تلك الشعيرة لهم البشارة المطلقة في الدنيا والبرزخ والآخرة.

ودليل هذا وما سبقه: قوله تعالى: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١١٢].

المعلم الثالث

محاذير في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن تركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإهمال شأنهما: نذيرُ شرٍ وبلاء وفرقة وتناحر بين أفراد الأُمَّة؛ **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾** [المائدة:٧٨، ٧٩].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (يُخبر الله تعالى: أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود وعيسى -عليهما الصلاة والسلام- بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لُعِنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان. ثم بيّن لهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال تعالى: **﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾** أي كان لا ينهى أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمَّهم على ذلك؛ ليحذر أن يُرتكب مثل الذي ارتكبوه؛ فقال تعالى: **﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾**) انتهى كلام ابن كثير -رحمه الله-.

وعن جرير -رضي الله عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما مِن قوم يُعمَل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله تعالى منه بعقاب» أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان.

وقال بعض الشرّاح: (لأن مَن لم يعمل إذا كانوا قادرين على تغيير المنكر غالبًا؛ فترْكُهم له رضا بالمحرمات وعمومِها، وإذا كثر الخبث عمّ العقاب الصالح والطالح؛ **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور: ٦٣].

فكل من شاهد منكرًا ولم ينكره فهو شريك فيه، فالمستمع شريك المغتاب، ويجري هذا في جميع المعاصي: في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بذهب، ويجلس على حرير، وجلوس في دار أو حمام

علىٰ حيطانها صور أو فيها أوان من ذهب أو فضة، أو جلوسٍ بمسجد تساء الصلاة فيـه فـلا يُتِمُّـون الركوع والسجود، أو بمجلس وعظ يجري به ذكر بدعة، أو مجلس مناظرة أو مجادلة يجري فيه الإيذاء والفحش) انتهىٰ المراد من كلامِه ونقلِه -رحمه الله-.

المعلم الرابع

العلم الشرعي هو الطريق السليم
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن من أعظم ما يُعيق -بل يُوقِف- مهمَّة الإصلاح: إقدام بعض من يريد الإصلاح على ذلك بلا علم؛ يدفعه في ذلك غيرتُه وعاطفتُه.

وهذا وإن كان دافعه حب نشر الخير ودرء الشر، إلا أن ذلك المقصد لا يشفع له في تسويغ شرعية عمله، فقد يترتب على تصرفه فساد وإفساد؛ بسبب بعده عن المنهج العلمي.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فعلى مَن أراد الإصلاح أن يكون في إصلاحه على منهج علمي مستمد من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-: (باب العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: (قوله: "باب العلم قبل القول والعمل"، قال ابن المنيّر: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل؛ فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مُصَحِّحٌ للنية المصحِّحَة للعمل، فنبَّه المصنف -يعني الإمام البخاري- على ذلك؛ حتى لا يسبق إلى الذهن مِن قولهم: "إن العلم لا ينفع إلا بالعمل" تهوينُ أمر العلم والتساهل في طلبه)(١).

وقال الإمام العيني -رحمه الله تعالى- على التبويب السابق للبخاري: (أي: هذا باب في بيان أن العلم قبل القول والعمل، أراد أن الشيء يُعلَم أولًا، ثم يقال ويعمل به؛ فالعلم مقدم عليهما بالذات)(٢).

وبكل حال: فعلى الداعية إلى الخير أن يحرص على المنهج العلمي في دعوة الناس إلى الخير.

ولْيَحذَر من اتخاذ تصرُّفات مجردة عن العلم الشرعي، إنما يدفعه فيها عاطفة جَيَّاشَة، أو محاكاة لفلان وفلان.

---

(١) فتح الباري: (١/ ١٩٣).

(٢) عمدة القاري: (١/ ٤١٨).

فليست العاطفة، ولا الكثرة، أو محبة الأشخاص: شافعةً للإقدام على عمل دون تبصُّر في معالجته.

فيا من أراد الإصلاح، لِيكُن منهجُك: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[يوسف: ١٠٨] «على بصيرة»: أي علم.

واعلم أنك إن لم تدْعُ على علم؛ فسيترتب على ذلك فساد مع تحمل آثام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: (... وذلك أنَّ كُلَّ مَن لم يتَّبع العلم فقد اتبع هواه. والعلم بالدين لا يكون إلا بهُدَى الله الذي بعث به رسولَه -صلى الله عليه وسلم-. ولهذا قال الله تعالى في موضع: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

فالواجب على العبد ينظر في نَفْس حُبِّه وبُغضه، ومقدار حبه وبغضه؛ هل هو موافق لأمر الله ورسولِه -وهو هُدى الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم-؟ بحيث يكون مأمورًا بذلك الحب والبغض، ولا يكون متقدمًا فيه بين يدي الله ورسوله؛ فإن الله تعالى قد قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

ومَن أحب أو أبغض قبل أن يأمره اللهُ ورسولُه؛ ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله).

وقال أيضًا: (ولا يكون عَمَله صالحًا إن لم يكن بعلم وفِقْه؛ كما قال عُمَر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: «مَن عَبَدَ اللهَ بغير علم كان يفسد أكثر مما يصلح»، وكما في حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: «العلم إمام العمل، والعمل تابعه»، وهذا ظاهر؛ فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلًا وضلالًا واتِّباعًا للهوى -كما تقدم-.

وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية والإسلام.

فلابُدَّ من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابُدَّ من العلم بحال المأمور وحال المنهي.

ومِن الصلاح: أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، والصراطُ المستقيم: أقرب الطرق، وهو الموصل إلى حصول القصد).

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: (يَعرِضُ للسائل معاطب ومهالك لا يُنجيه منها إلا بصيرةُ العلم)[1].

وقال الإمامُ ابنُ باز -رحمه الله تعالى-: عندما ذكر أخلاقَ الدعاة وصفاتِهم ما نصه: (ثانيًا: أن تكون على بينة في دعوتك -أي على علم- لا تكن جاهلًا بما تدعو إليه؛ **﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾** [يوسف: ١٠٨] ، فلابد من العلم، فالعلم فريضة.

فإيَّاك أن تدعو على جَهَالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يَبني، ويُفسد ولا يُصلح.

فاتَّقِ الله يا عبد الله، وإياك أن تقول على الله بغير علم، ولا تدعُ إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله، فلابد من بصيرة -وهي العلم-.

فعلى طالب العلم، وعلى الداعية: أن يَتبصَّر فيما يدعو إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليلِه؛ فإن ظهر له الحق وعرفه؛ دعا إلى ذلك: سواء كان ذلك فعلًا أو تركًا: فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة الله ورسوله، ويدعو إلى ترك ما نَهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة)[2].

(١) مدارج السالكين.

(٢) رسالة «أخلاق الدعاة» للشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله تعالى-.

المعلم الخامس

المنهج العلمي الشرعي في الإنكار

معرفة المنهج العلمي الشرعي في الإنكار يكون عن طريق سؤال العلماء.

فلقد تَعبّدَنا اللهُ تعالىٰ بسؤال أهل العلم فيما يشكل علينا؛ فقال: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣].

فبسؤال أهل العلم يزول الإشكال وتنجلي الغمة.

قال الإمام الآجري -رحمه الله تعالىٰ- عن العلماء: (بهم يُعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح...) إلىٰ أن قال: (مَن أطاعَهم رشد، ومَن عصاهم عَنِد. ما أشكل علىٰ قضاة المسلمين مِن حكم فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون؛ فإنهم سراج العباد ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ...).

وقال الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ- في معرض كلامه عن العلماء: (... ومِن ذلك صار العلماء حكَّامًا علىٰ الخلائق أجمعين قضاءً أو فتيا أو إرشادًا؛ لأنهم اتصفوا بالعلم الشرعي الذي هو حاكم بإطلاق...).

شاهد المقال:

أن علىٰ الداعية إلىٰ الخير تعليمًا أو احتسابًا أو غير ذلك أن يتبصر في أمر دعوته، وذلك بسؤال العلماء ومباحثتهم فيما يُشكل عليه.

وليحذر أن يأتي إلىٰ العلماء مفتيًا لا مستفيتًا فهذا خلاف ما أمر الله تعالىٰ به.

ومَن كان هذا شأنه؛ فيُخشىٰ أن يُحرَم التوفيق الإلهي، ومِن ثم يكون سعيه في الإصلاح إفسادًا، فيزيد المنكرَ منكرًا، وهنا يزداد إثمه علىٰ نفسه، ويزداد المنكر أذيةً للمسلمين.

فالحذرَ الحذرَ من الإعراض عن سؤال العلماء، والاسترشاد بنور علمهم وحسن رأيهم.

المعلم السادس

من صفات الآمِرِ بالمعروف والناهي عن المنكر

لابد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يَتحلَّى بصفاتٍ أَمَرَه الشرع بها، وإلا كان احتسابُه ضررًا عليه وعلى مَن أمَره أونهاه.

ومن تلك الصفات:

• العِلْم:

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. بوب على ذلك الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-: «باب العلم قبل القول والعمل».

فبالعلم يصلح نفسه ويصلح غيره، وبالعلم يحظى بالأجر ويحذر الوزر.

• الإخلاص:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]. والاحتساب من التعبد لله، فالإخلاص لله علامة فلاح العامل وعمله، سواء استجاب المدعوُّون، أو لم يستجيبوا، فإن استجابوا فله ولهم، وإن أعرضوا فله وعليهم.

فبالإخلاص يبارك الله للعامل في عمله، ويزيد في توفيقه وتأييده، والعامل بإخلاصه في عمله على خير ومن خير إلى خير.

ولذا ذكر غير واحد: أن بعض الناصحين ممن عندهم يسير من العلم، يبارك الله في جهودهم وينفع بدعوتهم ويؤثر نصحهم في نفوس المدعوين أبلغ تأثير، وهذا من ثمار الإخلاص.

فعلى الداعية إلى سبيل الخير أن يدعو الله تعالى بأن يرزقه الإخلاص في جميع الشؤون. وإن نازعَتْه نفسه في ذلك وجنحت به عن طريق الإخلاص فليجاهدها، وليصدق في جهاده، وسيرى من الله تعالى ما يُقِرُّ عينَه ويشرح صدرَه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: (مَن عَوَّد نفسه العمل لله لم يكن أشق عليه من العمل لغيره، ومن عود نفسه العمل لهواه وحظه؛ لم يكن أشق عليه من الإخلاص والعمل لله)[1].

• الحلم والصبر:

فالمحتسب يَحصُل له من أذيَّة الناس الشيء الكثير، وإذا وطن نفسه علىٰ أن يكون ذا حلم وذا صبر، أعانه الله علىٰ نفسه وعلىٰ دعوة الناس، بل ربما كان حلمه وصبره مؤثِّرًا في دعوة الناس، كما عرف ذلك من حال كثير من المحتسبين ممن رزقهم الله حلمًا وصبرًا.

وقد أَمَر اللهُ إمام المحتسبين -صلىٰ الله عليه وسلم- بالصبر في دعوته للناس فقال: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ**﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا**﴾ [المعارج: ٥].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: (ولابد أن يكون حليمًا صَبورًا علىٰ الأذىٰ، فإنه لابد أن يحصل له أذىٰ، فإن لم يحلم ويصبر فإنه يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

• الرفق:

قال -صلىٰ الله عليه وسلم-: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»، وقال -صلىٰ الله عليه وسلم-: «وما صاحب الرفق شيئًا إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه».

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: (فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده. ثم ذكر أثرًا عن بعض السلف ونصه: «لا يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهىٰ عنه»، ثم نبَّه شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- إلىٰ أمر دقيق قد يخفىٰ علىٰ كثير من الناس فقال:

(وليعلم أن اشتراط هذه الخصال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: مما يُوجِب الصعوبة علىٰ كثير من النفوس، فيظن أنه بذلك يسقط عنه، فيدعه، وذلك مما يضره أكثر مما يضره الأمر بدون هذه الخصال أو أقل. فإنَّ ترْك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهىٰ الله عنه في الأمر معصية، فالمنتقل

(١) «عدة الصابرين»: (ص٨٢).

من معصية إلى معصية كالمستجير من الرمضاء بالنار، أو كالمتنقل من دين باطل إلى دين باطـل، وقـد يكون الثاني شَرًّا من الأَوَّل وقد يكون دونه وقد يكونان سواء، فهكذا تجد المقـصر في الأمـر والنهـي والمعتدي فيه، قد يكون ذنب هذا أعظم، وقد يكون ذنب ذاك أعظم، وقد يكونان سواء).

المعلم السابع

مراعاة القواعد الشرعية

المتعلقة بالمصالح والمفاسد عند الإنكار

من كمال شريعة الإسلام عنايتها بإصلاح جميع شؤون الناس على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم وألسنتهم وأعمارهم وأجناسهم. وقد تعدىٰ ذلك إلىٰ حث هذه الشريعة الغراء علىٰ نيل أكبر قدر من النفع، وعدم الاكتفاء بقليله. وفي مقابل ذلك: درء الفساد كله -إن أمكن-، فإن لم يمكن فدفْع أكثره مع تحمل قليله.

(فإذا تعارضت مفسدتان، رُوعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما...، فإذا تعارض مفسدة ومصلحة، قدم دفع المفسدة غالبًا؛ لأن اعتناء الشارع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات، ولذلك قال -صلىٰ الله عليه وسلم-: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»)[1].

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالىٰ- في منظومته للقواعد الفقهية ما نصه:

«وضده تزاحم المفاسد . . . يرتكب الأدنىٰ من المفاسد»

ثم شرح ذلك بقوله: (المفاسد إما محرمات أو مكروهات، كما أن المصالح إما واجبات أو مستحبات، فإذا تزاحمت المفاسد بأن اضطُّر الإنسان إلىٰ فعل أحدهما، فالواجب أن لا يرتكب المفسدة الكبرىٰ، بل يفعل الصغرىٰ ارتكابًا لأهون الشرين لدفع أعلاهما.

فإذا كانت إحدىٰ المفسدتين حرامًا والأخرىٰ مكروهة، قدم المكروه علىٰ الحرام، فيقدم الأكل من المشتبه علىٰ الحرام الخالص، وكذلك يقدم سائر المكروهات علىٰ المحرمات...)[2] إلخ كلامه -رحمه الله تعالىٰ-.

---

(١) «الأشباه والنظائر» للسيوطي: (ص ٦٢)، والحديث أخرجه الشيخان بألفاظ متقاربة، وانظر شرح الحديث موسعًا في «جامع العلوم والحكم» الحديث التاسع.

(٢) «منظومة القواعد الفقهية مع شرحها»: (ص ١٩٥-١٩٦).

شاهد المقال:

أن ترجيح أكبر المصلحتين، ودفع أكبر المفسدتين في مسائل الاحتساب مـرده إلى أهـل العلـم، لأنهم أهل دراية بالنصوص وفقها، وقد تعبدنا الله تعالى بسؤالهم.

المعلم الثامن

أسلوب المنكر يختلف بحسب حال المنكَر عليهم

فأهل المنكر يختلفون بحسب منازلهم في المجتمع، وليس من لازم هذا ترك الإنكار، وإنما المراد: إنزال الناس منازلهم واستعمال الأسلوب الأنسب عند الإنكار.

وقد ورد في الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ننزل الناس منازلهم»[1].

وفي إنزال الناس منازلهم: كسب لقلوبهم، ودرء لمفسدة أكبر، واختصار لجهود كثيرة.

وقبل هذا كله: إقتداء بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- ينزل الناس منازلهم، وهذا من السياسة الشرعية التي تعود على الداعي والمدعو بالمصلحة.

وشواهد ذلك كثيرة، ومن ذلك: كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل، وفيه: «من محمد بن عبدالله ورسولِه، إلى هرقل عظيم الروم...».

ذكر الحافظ ابن حجر عند قوله «عظيم الروم»: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يخله من إكرام؛ لمصلحة التألُّف[2].

---

(١) ذكره مسلم في «مقدمة صحيحه» بلا إسناد تعليقًا: (١/ ١٦). وأخرجه بلفظ: «أنزلوا الناس...» أبو داود: كتاب الأدب، باب (٣٣)، رقم: (٤٨٤٢)، (٥/ ١١٢). وقد ورد من غير حديث عائشة. وانظر تفصيل ذلك في كتاب «المقاصد الحسنة» للسخاوي، حديث رقم: (١٧٩) وقد قال في آخر كلامه: «...وبالجملة: فحديث عائشة حسن».

(٢) «فتح الباري»: (١/ ٥٠).

المعلم التاسع

الحذر من التواكل والتسويف

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن المبادرة إلى فعل الخيرات والمسابقة إليها دليل على قوة عزيمة صاحبها، وفي المقابل: التقاعس عنها أو التثاقل في القيام بها أو التسويف فيها دليل على عجز صاحبها، وتمكن الشيطان منه.

فالتكاسل عن فعل الخيرات مذموم؛ بل ذَكَر الله ذلك من صفات المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة: ٥٤].

فعلى المحتسب أن ينشط في دعوته ولو خذله المخذلون وثبطه المثبطون.

قال الحسن -رحمه الله تعالى-: (إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غَدًا لك فكن في غد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم).

فعليك أيها المحتسب بالمبادرة إلى الخير، واستعن بالله، واعزم أمرك، وسترى من الله تعالى ما ينفعك في دنياك وآخرتك.

المعلم العاشر

ذكر المثالب وفتح أبواب اليأس والقنوط[1].

مما يؤخذ على بعض من يريد الإصلاح: الإكثار من ذكر المثالب في مجتمعه، والدندنة حول تلك الأمور في غالب أحاديثه، ولو أنه ذكر ذلك من باب إيجاد طرق العلاج؛ لكان ذلك محمدة في حقه، لكن المصيبة أن يذكر ذلك من باب صعوبة سلوك طريق الإصلاح، فيترتب من جراء ذلك: تقاعسه عن العمل، بل وإدخال اليأس إلى جلسائه.

ولو أن هذا -وأمثاله- غلَّبوا جانب التفاؤل في عملهم، وأنهم على خير في سعيهم إلى الإصلاح، سواء صلح العطب أو بعضه؛ بل وحتى لو لم يصلح شيء مما أرادوا، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

وهنا ينبه ويؤكد على الحذر من مجرد ذكر المنكرات، والتشعب في سرد أحوالها؛ لئلا يغلق ذلك المتشائم والمتقاعس أبواب الإصلاح في نفس من أراده وتحمس له، فلا ينبغي لمريد الإصلاح أن يغلب جانب السلبيات، ويغفل ذكر شيء من الإيجابيات التي تذكي الهمة في نفوس المصلحين، وكان الأولى به أن يكون منصفًا في قوله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وبيان ذلك: لو أنه أراد الكلام عن منكر شاع أثره في البلد، وتلوث به كثير من الناس، ذكر خطر المنكر وشدة تأثيره على المجتمع، ومع هذا كله يذكر أن كثيرًا من الناس يحتاجون إلى تذكير وبيان، وأن أهل المجتمع أكثرهم من أهل الجمعة والجماعة، وأهل فطرة وسلامة، وينبغي أن نذكرهم بأنهم أهل صلاة ومخافة من الله، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ونحن على خير في دعوة من قَصَّر منهم، سواء استجاب أولئك المقصرون أو لم يستجيبوا.

فهذا الكلام -وأمثاله- يزيد الهمة ويقوي العزيمة.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (علو همة المرء عنوان فلاحه، وسفول همته عنوان حرمانه)[2].

(١) وقد ذكرت هذا المعلم والذي يليه في كتابي: «معالم في طريق الإصلاح».

(٢) «مدارج السالكين»: (٣/ ١٨٠).

ولابد في هذا المقام أيضًا من التنبيه على أولئك الذين يتحدثون عن عز الإسلام وشموخه، وأن النصر له، لكن مع هذا كله لم يحركوا ساكنًا في سبيل الإصلاح؛ بل جعلوا هذا الكلام من باب التماس الأعذار لأنفسهم، وأنهم متفائلون بنصر الإسلام.

وبكل حال: فهؤلاء ومن سبق ذكرهم طرفا نقيض.

ويحسن في المبحث ذكر كلام نفيس للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، قال -رحمه الله-: (واليوم، وإن كان المسلمون مصابين بضعف شديد، والأعداء يتربصون بهم الدوائر، هذه الحالة أوجدت من بينهم أناسًا ضعيفي الإيمان، ضعيفي الرأي والقوة، يتشاءمون أن الأمل في رفعة الإسلام قد ضاع، وأن المسلمين إلى ذهاب واضمحلال.

ولقد غلطوا في هذا أعظم غلط، فإن هذا الضعف عارض، له أسباب، وبالسعي في زوال أسبابه تعود صحة الإسلام كما كانت، كما تعود إليه قوته التي فقدها منذ أجيال.

وما ضَعُف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم -صلى الله عليه وسلم-، وتنكبوا السنن الكونية التي جعلها الله مادة حياة الأمم ورُقِيِّها، فإذا رجعوا إلى ما مهَّده لهم دينهم، فإنهم لابد أن يصلوا إلى الغاية، كلها أو بعضها.

وهذا المذهب المهين -وهو التشاؤم والكسل- لا يعرفه الإسلام، ولا يرتضيه، بل يحذر عنه أشد تحذير، ويبين للناس أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسرًا، وأنه ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٧]، ويبين أنه لا أضر عليهم من اليأس والقنوط.

فلْيَتَّقِ هؤلاء المتشائمون ربهم، وليعلموا أن المسلمين أقرب الأمم إلى النجاح الحقيقي.

ويقابل هؤلاء طائفة يُؤَمِّلون آمالًا عظيمة، ويقولون ولا يفعلون، فتراهم يتحدثون بمجد الإسلام ورفعته، وأن له العاقبة الحميدة، وأن الرجوع إلى تعاليمه وهدايته هو السبب الوحيد لعُلُوِّ أهله ورفعتهم، ولكن لا يقدِّمون لدينهم أدنى منفعة -بدنيَّة ولا مالية-، ولا يقدمون مساعدة جدية لتحقيق ما يقولون، فإن الأقوال لا تقوم إلا إذا قارنتهم الأفعال.

ويا طوبىٰ لطائفة هم غُرَّةُ المسلمين، وهم رجـال الـدنيا والـدين، قرنـوا الأقـوال والأفعـال، وتبرؤوا من مذهب المتشائمين ومن أهل الأقوال دون الأفعال، فهؤلاء هم الذين يناط بهـم الأمـل، وتدرك المطالب العالية بمساعيهم المشكورة وأعمالهم المبرورة)[1].

(١) «واجب المسلمين»: (٢٣، ٢٤).

المعلم الحادي عشر

عدم احتقار الجهد ولو كان يسيرًا[1]

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تَحقرَنَّ من المعروف شيئًا»[2].

وعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[3].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله عليه وسلم: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[4].

فمن دلالة هذه النصوص وما شاكلها يتبين لنا أن الخير -ولو كان قليلًا- فإنه يؤتى ثماره، وهو -بلا ريب- خير من العدم.

وإذا كان ذلك كذلك، فعلى مريد الإصلاح ألا يزهد في أي عمل من أعمال الخير، ولو كان يسيرا في نظره.

فكم من كلمة طيبة نفعت أناسا، بل غيرت مجرى حياتهم، وأبدلتهم -بعد فضل الله تعالى- من بعد ضلالهم هدىً وتوفيقًا.

وكم من وجه طلق أثر في جليسه، فتأثرت أخلاقه، وتبدلت من سيئها إلى حسنها.

فيا من أراد الإصلاح، أخلص عملك لله، ولا تحرمن نفسك وغيرك من خير أنت قادر على قوله وفعله، ولو قلله الشيطان في عينيك وصغره في نفسك، فأول الغيث قطرة ثم ينهمر.

لا تحقرن صغيرة . . . إن الجبال من الحصى

---

(١) هذا المعلم وسابقه ذكرتها في كتابي: «معالم في طريق الإصلاح» -كما تقدم-.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر، باب (٤٣) رقم (٦٦٣٣)، (٨/ ٣٩٣).

(٣) متفق عليه: البخاري: كتاب الأدب، باب (٣٤)، رقم (٦٠٢٣) (١٠/ ٥٥١). ومسلم: كتاب الزكاة، باب (٢٠)، رقم (٢٣٤٧) (٤/ ١٠٣).

(٤) متفق عليه: البخاري: كتاب الأدب، باب (٣٠)، رقم (٦٠١٧)، (١٠/ ٥٤٧)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب (١٩)، رقم (٢٣٧٦)، (٤/ ١٢١).

قال الإمام عبدالله بن المبارك -رحمه الله تعالى-: (رُب عمل صغير تكبره النية، ورُب عمل كثير تصغره النية)[1].

وقال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله تعالى-: (... فرحم الله من أعان على الإسلام ولو بشطر كلمة)[2].

(١) «السِّيَر»: (٨/ ٤٠٠).

(٢) «واجب المسلمين»: (ص١٦).

المعلم الثاني عشر
الاحتساب مُشاعٌ لكل مَن قَدِر عليه

إن إنكار المنكر ليس وقفًا على أهل الحسبة فحسب، بل يتعداهم إلى كل مسلم يقدر على ذلك بيده ولسانه وبحسب المصلحة الشرعية، وأما الإنكار بالقلب فلا يعذر أحد بتركه، قال -صلى الله عليه وسلم-: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-.

جاء في كلام ابن رجب عند شرحه لهذا الحديث ما نصه: (فدلت هذه الأحاديث كلها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لابد منه، فمن لم ينكر بقلبه دل على ذهاب الإيمان منه).

وقال في موضع آخر: (فتبين بهذا أن الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال، وأما الإنكار باليد واللسان فبحسب القدرة) إلى آخر كلامه -رحمه الله تعالى-.

إن إعانة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من أسباب فلاح المجتمع وتكاتف أهله، وفي ترك ذلك تفكك للروابط وتنافر بين القلوب.

أليس من التناقض أن الناس مع تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لو علموا بتفشي وباء من الأوبئة أو تعطل شيء من ضروريات الحياة اليومية كوسائل اتصال أو إضاءة، لاستنفرت الجهود للقضاء عليه عن طريق المكاتبة والمشافهة والمهاتفة مع من يعنيهم الأمر، ولسارعنا إلى تقديم العون المستطاع في سبيل القضاء على ذلك الوباء أو رجوع تلك الضروريات الحياتية.

فيا عجبًا! أين ذلك الاستتنفار وبعث الهمم لمثل هذا الأمر من الغيرة على محارم الله تعالى؟!

إن عين التناقض أن ترى جماعة من الناس يسعون جاهدين لإصلاح أبدانهم وبيوتهم بينما ترى كثيرًا منهم غفلًا عن إصلاح قلوبهم.

المعلم الثالث عشر

الاحتجاج بفهم مغلوط لترك الاحتساب

يتعلل بعض الناس ويعذرون أنفسهم في ترك الاحتساب بالاحتجاج بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] فيفهم بعضهم من هذه الآية أن المسلم إذا ألزم نفسه طريق الهداية وسلم من المنكرات فليس ملزمًا بدعوة غيره، فلا يأمر غيره بمعروف ولا ينهاه عن منكر؛ لأن الذي طُلِب من العبد أن يتفطن لخاصة نفسه، ولا شأن له بسائر المسلمين، وهكذا يتعلل بعض الناس.

وهذا الفهم فيه محاذير شرعية خطيرة، منها التجرُّؤ على الخوض في الآيات دون سؤال، مما نتج عنه القول على الله بلا علم، وكان الأولى بل الواجب على المسلم أن يسأل عما أشكل عليه وأن يحذر من تنزيل الآيات على فهمه وشهوته.

وإذا كان الفهم باطلًا في معنى الآية فما التفسير الصحيح لها؟

أخرج أصحاب السنن عن قيس بن أبي حازم قال: صعد أبو بكر -رضي الله عنه- منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب».

وفي رواية أخرى عند ابن جرير أن أبا بكر -رضي الله عنه- قال: «أيها الناس إنكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدونها رخصة، والله ما أنزل الله في كتابه أشهد منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]».

وعن حذيفة -رضي الله عنه- في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال -رضي الله عنه-: «إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر».

وعن سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- في هذه الآية قال: «إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر لا يضرك من ضل إذا اهتديت».

وشاهد المقال:

أن الآية تتضمن بل وتنص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي حال رفض دعوتك، فلا ضير عليك من إدبارهم، فذلك لك وعليهم، ولكن أنت أَلْزِم نفسك الجادة وإياك والتخاذل.

ثم يقال أيضًا: إن النصوص الكثيرة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفيد المعنى وتؤكده.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: (أي اجتهدوا في إصلاحها وكمالها وإلزامها سلوك الصراط المستقيم، فإنكم إذا صلحتم لا يضركم من ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى الدين القويم وإنما يضر نفسه.

ولا يدل هذا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يضر العبد تركهما وإهمالهما، فإنه لا يتم هداه إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نعم، إذا كان عاجزًا عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه فإنه لا يضره ضلال غيره) اهـ.

المعلم الرابع عشر

الإنكار بالقلب يستلزم مفارقة المنكر

بعض من يجلس عند المنكر أو يجالس أهله يتعذر بأنه ليس مقرًا لهم وأنه منكر عليهم بقلبه ولهذا وأمثاله يقال: إن درجة الإنكار بالقلب تستلزم المفارقة، بمعنى أن يفارق المنكر بقلبه ويفارق أهل المنكر ومنكرهم كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ...﴾ [النساء: ١٤٠].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-: (فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ فكل مَن جلس في مجلس معصية ولم ينكِر عليهم يكون معهم في الوزر سواء. وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

وقد روي عن عُمَر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- أنه أخذ قومًا يشربون الخمر فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾. أي أن الرضا بالمعصية معصية، ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي حتى يهلكوا بأجمعهم، وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبّه بحكم الظاهر من المقارنة كما قيل:

. . . .   فكل قرين بالمقارن يقتدي

وإذا ثبت تجنب أصحاب المعاصي كما بينا، فتجنب أهل البدع والأهواء أولى) انتهى كلام القرطبي -رحمه الله تعالى-.

وبكل حال فليتق الله تعالى من يجالس أهل المنكر زاعمًا أنه منكِرٌ عليهم بقلبه، فإنه مع تلبسه بالإثم يُخشى عليه من أن ينجر معهم حتى يكون مشاركًا لهم بقوله وفعله.

المعلم الخامس عشر

حدوث منكر جديد

لا يُنسِي أو يُقَلِّلُ ما سبقه من منكرات

وذلك لأن نسيان ما سبق من المنكرات يزيدها استفحالًا وانتشارًا.

والمُشاهد: أن المنكرات يرقق بعضها بعضًا، وهذا هو مصداق قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «تأتي الفتن يرقق بعضها بعضًا...».

شاهد القول: أن على المسلم أن يحذر من الغفلة والتهاون عما تقدم وقوعه من المنكرات، بل عليه أن يُنكِر قدر استطاعته بالوسائل الشرعية من يد ولسان وقلب.

وعودًا على بدء، يقال:

إن في إغفال المنكرات المتقدمة الوقوع تمكينًا وتمهيدًا لغيرها، وأعظم من ذلك كله استمراء وتقبل النفوس لها.

ومن المعلوم بدهًا: أن المنكر إذا وقع، ثم تقادم عليه الزمن، اكتسب قوة ورسوخًا، بل إنه يُهيِّئ ويعين لما يعقبه من منكرات.

المعلم السادس عشر

من سياسة أهل الشر في إشاعة المنكرات

من سياستهم في ذلك: التمهيد والتوطئة لها قبل حلولها، وبالمثال تتضح الصورة والمقال:

عندما يعزم أهل الفساد على إشاعة منكر، فإنهم يَخْطُون خطوتين:

الخطوة الأولى: تقوم طائفة منهم بالمطالبة الصريحة والجريئة بذلك المنكر ويسلكون في ذلك الأساليب البذيئة من المجاهرة القولية أو الفعلية أو الكتابية وما يتبع ذلك، ثم إذا أوغلوا في ذلك، وأَنكَر عليهم الرأيُ العام بعامة وأهلُ الحسبة بخاصة جاءت:

الخطوة الثانية: وذلك بأن تقوم طائفة من المؤيدين للمنكر، بل قد يكنون من المنظرين له فأنكروا على أصحابهم المجاهرين طريقتهم ومسلكهم ذلك، وأن مسلكهم ومطالبتهم فيها نوع جرأة وعدم مراعاة لمشاعر الآخرين، وكان الأولى والأجدر طرح القضية بأسلوب هادئ ومتزن.

وما تزال تلك الطائفة المهدئة توجه العتب واللوم لأختها الطائفة المجاهرة، حتى يظن كثير من الناس أن إنكار تلك الطائفة على أختها هو عين الصواب.

ولم يشعروا أن حسن ظنهم هذا وعدم بصيرتهم بمكر الطائفة الثانية، كان سببًا في صبغة ذلك المنكر أو بعضه بصبغة الرضا والقبول، وإتاحة الفرصة لطرحه على بساط البحث.

وكان الأولى بهم: السعي في الإنكار ابتداءً وعدم التهاون والتخاذل، فضلًا عن تصديق تلك الطائفة المخادعة الزاعمة بأنها تريد الإصلاح وهي عين الفساد.

المعلم السابع عشر

احتكار وسيلة الإنكار

إن احتكار وسيلة الإنكار وتخطئة، بل والاتهام -أحيانًا- لمن سلك وسيلة إنكار أخرى من الخلل المنهجي.

مثال ذلك: عند وقوع منكر عام، تنشط نفوس الغيورين بخاصة وغيرهم بعامة على السعي في إنكار ذلك المنكر. وهذا أمر محمود ومشكور، وصاحبه مأجور إذا كان على بصيرة.

إنما المحذور والمذموم هنا: أن يسلك بعضهم طريقة في الإنكار ولتكن مثلًا التصريح بأن يذكر أعيان المنكر بأسمائهم، أو الجهة المخوِّلة لهم ذلك، بينما يسلك آخرون مسلكًا للإنكار غير هذا: فيكون بالكتابة إلى أهل الشأن أو الذهاب إليهم في مكاتبهم أو منازلهم لتحذيرهم من ذلك المنكر...

ويسلك آخرون مسلكًا ثالثًا: كالذهاب إلى العلماء وأهل الوجاهة... وهلم جرا.

والشاهد في هذا المقام: أن بعض المنكرين يخطئ ويتهم -أحيانًا- مَن خالف مسلكه ولم يكن معه على طريقته.

وهذا من الظلم ومن تزكية النفس، فكيف يجعل لنفسه سبيل الرشاد ولغيره سبيل الخطأ.

ويزداد الأمر خطورة إذا كان المخالفون له ولطريقته في إنكاره قد استندوا إلى فتوى أو مشورة عالم راسخ يوثق بعلمه ومنهجه.

ألا فليتق الله تعالى من كان هذا شأنه.

وليعلم أن أولئك الذين خالفوا مسلكه في الإنكار: قد يكون فيهم من هو أعلم منه، وقد يكون فيهم من هو أتقى لله تعالى منه ومَن تأكل الطير من يده ويُستنزَل الغيث بدعائه وصدقه.

فكيف يجعل أعراضهم مضغة في لسانه يلفظها في كل مجلس يُذكر فيه ذلك المنكر.

ثم ليعلم هذا المشنع على غيره: أن مما ذكر الفقهاء في قواعدهم: (أنه يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد)[1].

(١) ((الأشباه والنظائر)) للسيوطي: (ص ١٠٧).

وإذا كان ذلك كذلك: فليحذر المرء من الطعن في المقاصد، وليسلك سبيل الرشاد والعلم في بيان الحق، وبخاصة إذا كان المخطئ مراده الخير مقصدًا، لكنه أخطأ وسيلةً.

هذا على سبيل التنزُّل بوضوح خطأ الوسيلة.

أما إذا كانت النصوص تشفع لوسيلته بناءً على فتوى عالم شرعي، فالأمر واسع في ذلك. ولعل هذا يدخل تحت قاعدة فقهية أخرى وهي: «لا ينكر المختلف فيه[1]، إنما ينكر المجتمع عليه».

(١) ثم لتعلم -رعاك الله تعالى- أن قولهم: «لا ينكر المختلف فيه»: ليس على الإطلاق؛ بل فيه تفصيل.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «وقولهم مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح...» إلى أن قال: «إنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد -كما اعتقد ذلك طوائف من الناس-.

والصواب الذي عليه الأئمة: أن مسائل الاجتهاد: ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبًا ظاهرًا مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه؛ فيسوغ -إذا عدم ذلك- الاجتهادُ؛ لتعارض الأدلة المقاربة أو لخفاء الأدلة فيها». (إبطال التحليل).

المعلم الثامن عشر

حصول الأجر: يكون بالسعي في تحصيل الخير ولو لم يحصل ذلك الخير

وبيان ذلك: أن المسلم قد يسعى لفعل خير ويبذل ما يستطيع من الأسباب الحسية والمعنوية، ومع هذا كله لا يحصل له ما أراد؛ بل ولا بعض ما أراد.

فيقال لمثل هذا: أنت مأجور مشكور بمجرد سعيك في فعل الخير، فإن تم ما سعيت له فبها ونعمت وأنت مأجور، وإن لم يتم فأنت مأجور أيضًا؛ لأن ثبوت الأجر ليس مُعلَّقًا بتحصيل المراد.

ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾ [النساء: ٨٥] فذكر الله حصول النصيب للشافع بمجرد شفاعته.

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: (والشافع يُؤجَر فيما يجوز وإن لم يُشَفَّع؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**ومَن يَشْفَعْ**﴾ ولم يقل: «مَن يُشَفَّع»، وفي صحيح مسلم: «اشفعوا تؤجروا»..)[١].

(١) ((تفسير القرطبي)): (٥/ ٢٨٦).

المعلم التاسع عشر

تبرأ الذمة بفعل المستطاع

حتى لو لم يتغير المنكر

وبيان ذلك: أن المسلم مأمور بالسعي في تغيير المنكر حسب استطاعته، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «يوشك من عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع له غير أن يَعلَم اللهُ مِن قلبه أنه كاره».

هذا هو مناط التكليف وبه يحصل الأجر وتبرأ الذمة؛ لأنه أَدَّىٰ ما أوجب الله عليه.

ولم يعلق الله تعالى براءة الذمة بزوال المنكر، فهذا من تكليف ما لا يطاق؛ لأن المنكرات تتفاوت من حيث القدرة على تغييرها.

المعلم العشرون

تجاوزُ حد الإنكار الشرعي مع صاحب المنكَرِ: منكرٌ

إن تجاوز حد الإنكار الشرعي مع صاحب المنكر هو منكر.

وبيان ذلك: لو أفشى أحدهم منكرًا، أو دعا إليه بلسانه أو قلمه، فإن من واجب الديانة وبراءة الذمة، أن ينكَر عليه بعلم، ويُطعن فيه بحسب ما ظهر من منكره.

وإنما الظلم والجناية في هذا المقام: أن يلصق به تهمًا بمجرد مجاهرته بالمنكر، وبدعوى التغليظ عليه، كأن يطعن في عرضه أو عقيدته -إذا كان منكره غير عقدي- فهذا العمل لا يجوز.

وكون الرجل قد قال أو فعل منكرًا لا يلزم منه استباحته بما ليس فيه بدعوى أنه صاحب منكر، فهذا التلازم ليس بلازم، بل هو باطل.

قال تعالى: ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: ٨].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (أي لا يَحمِلنَّكم بغض قوم على ترك العدل فيهم؛ بل استعملوا العدل في كل أحد صديقًا كان أو اعدلوا، ولهذا قال: ﴿**اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ أي عدلكم أقرب للتقوى من تركه...).

وقال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-: (﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ**﴾ على ترك العدل وإيثار العدوان على الحق...) إلى أن قال: (ودلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه).

المعلم الحادي والعشرون

الترهيب من القدح في أهل الاحتساب

وهذا مزلق زل فيه عدد غير قليل من الناس، والمراد بذلك: الكلام في أشخاص أهل الحسبة، والتندر بأخطائهم وإكثار التشنيع عليهم، فبعض ضعفاء النفوس يجعل منهم فاكهة مجالسه يتشفى بنقدهم، يكثر تعداد أخطائهم، بل ويلتمس كل لوم ليحمله عليهم، وفي المقابل لا يقبل في الاعتذار عنهم، ولمثل هذا وأمثاله يقال: ألَّا يتشفى الإنسان بذكرها، ويزيد إثمُها وجرمُها إذا كان الضرر المترتب عليها متعديًا، يخطئ فرد واحد خطأ غير مقصود، فتناوشه الألسنة والأقلام من كل حدب وصوب لا يرقبون فيه إلًا ولا ذمة، ويعددون مآخذ النقد، كل ذلك مصحوب بلباس الحقد والشماتة.

فيا عجبًا من ذلك الشامت، لِمَ كل هذا التحامل والتشفِّي؟ أليس كل بني آدم خطَّاء؟ أليس الموظف يُخطئ في بعض عمله، والتاجر يخطئ في بيعه وشرائه فقد يكون غابنًا أو مغبونًا؟ أليس المدرس يخطئ في مدرسته فقد يضر طالبًا وينفع آخر على حساب الأول؟ بل أليس الطبيب معرَّضًا للخطأ في عمله فقد يزيد المرض سريانا وقد يتسبب في وفاة المريض؟

شاهد المقال:

أن تضخيم خطأ المحتسبين نوع من الحقد والجرم في حقهم، وذنب عظيم ممن أطلق لسانه وقلمه في آحادهم أو جماعتهم أو جهازهم.

المعلم الثاني والعشرون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لازم لكل أحد

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: (كل بشر على وجه الأرض فلابد له من أمر ونهي، ولابد أن يأمر وينهى؛ كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف:٥٣] فإن الأمر هو طلب الفعل وإرادته، والنهي طلب الترك وإرادته).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: (ولابد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه يقتضي بها فعل نفسه، ويقتضي بها فعل غيره إذا أمكن ذلك، فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته، وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض، وإذا اجتمع اثنان فصاعدًا فلابد أن يكون بينهما ائتمار بأمر، وتناهٍ عن أمر، ولهذا كان أقل الجماعة في الصلاة اثنين).

وقال أيضًا: (إذا كان الأمر والنهي من لزوم وجود بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر به الله ورسوله وينهى عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، ويُؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله، ويُنهى عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، وإلا فلابد من أن يأمر وينهى، ويُؤمر ويُنهى إمَّا بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزل الله.

وإذا اتخذ ذلك دينًا؛ كان دِينًا مبتدعًا ضالًا باطلًا).

المعلم الثالث والعشرون

استصحاب إساءة الظن

وعدم المغفرة لصاحب المنكر -مع توبته- منكر

وهذا من عدم العدل؛ بل هو من الحيف والظلم ولا ينافي هذا مبدأ الحذر والحيطة من أصحاب المنكر وتنوِّع طرائقهم، إنما المحذور والحرج: المبادرة في إلصاق التهم بمجرد سابقة مضت.

وإن مما يُخشى في مثل هذا: أن يكون ذلك المتهم بريئا معافى مما رُمي به، فيُوغِر الشيطان صدره، فيزيد شره وبلاؤه على الصالحين والمصلحين، ويتحمَّل إثم ذلك: مَن تَسَرَّع بالرمي والطعن في الناس دون بصيرة ودراية.

خِتامًا

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى: أن توفق المسلمين إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأن تسلك بهم سبل السلام، وأن ترفع راية الاحتساب وأهله، وأن تزيدهم وتثبتهم وتكبت عدوهم، إنك سميع مجيب.

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهرس